

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصَحَ الأُمَّةَ و دَعَى اللهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران. 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدى، هدى محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها و كل مُحدثَةٍ بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

لقد علمنا القرآن الأخلاق، و ربَّنا عليها، و إن الناس لو تمسكوا بها لما رأيت فساداً و خِصاماً و شجاراً بينهم. و إن صلاح اللسان لهو سبب لصلاح الأخلاق. فلو أن كل إنسان راقب أقواله و كلماته و علم أنه سيُسأل عنها لكان بالإمكان اجتناب الكثير من المشكلات الاجتماعية. فعلى المسلم أن يعلم أنه مُحاسبٌ عن كل قولٍ يقوله مهما كان كلامه قليلاً أو كثيراً. جاداً كان في كلامه أو مازجاً فكل كلمة سوف تُحصى و تُسجل عليه. يقول الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ق: ١٨

و قد حذر رسول الله صلى الله عليه و سلم في عدة أحاديث من خطر اللسان، فقد سمع أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا. صححه الألباني

و عنه أيضاً (عن أبي هريرة). عن النبي صلى الله عليه و سلم:

إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَأْسًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ. رواه البخاري.

و عن أسلم رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه و هو يجذب لسانه، فقال له عمر: مه غفر الله لك؟ فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد. رواه مالك و البيهقي و صححه الألباني.

فأكثر الخطايا من اللسان. كلمات لا يُلقى لها الإنسان بالأ. يظن أنه لن يحاسب عليها و لن يأخذ بها. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قل خيراً تغنم، و اسكت عن شرٍ تسلم من قبل أن تندم. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: أكثر خطايا لابن آدم في لسانه. رواه الطبراني و غيره و جوده الألباني.

و من آفات اللسان التي حذر منها الإسلام و ذكرها الله عز و جل في كتابه العزيز الغيبة فقال تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم

بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾

الحجرات: ١٢

فشبهه الله عز و جل الشخص الذي يغتاب أخاه بالذي يأكل لحم أخيه و هو ميت. و من منا يستطيع أن يأكل من لحم أخيه الميت؟

وتعريف الغيبة كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال صلى الله عليه و سلم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتة، و إن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته. رواه مسلم.

ويرى أهل العلم أن على الإنسان الذي يقف بالغيبة أن يتحلل من من اغتابه. و ذكروا أنواعاً لهذا التحلل. فمنهم من قال:

يكفي الدعاء لمن اغتابته والاستغفار له، وفيه حديث وإن كان فيه ضعف لكن ذكره أهل العلم فقالوا: «كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتابته»¹.

و قال آخرون أن على المرء أن يذهب إلى من اغتابه و يعتذر له من فعله و يتحلل منه.

و هناك قولٌ وسطٌ بين هذين القولين و هو: إذا علمت أن صاحبك سيأنس ويعفو عنك ويدعو لك فإذهب، وإلا فلا.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35]، فكرم النفس ليس بأمرٍ هينٍ.

و من الذنوب التي نهى عنها الإسلام الوقوع بالنميمة و هي أيضاً من ذنوب اللسان.

يقول الإمام القحطاني في نونيته:

لا تسع بين الصاحبين نميمةً فلأجلها يتباغض الخلان

فالنميمة تُوَقَّعُ الشحناءَ و البغضاء بين الأقارب و الأصحاب.

و قد ذكرَ الله عز و جل النميمةَ في القرآن فقال عز من قائل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَا فِي مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ القلم: ١٠ - ١٢

و الهمَّاز: الذي يعيبُ الناسَ بالقول و الإشارة. و معنى مشاءٍ بنميمٍ: الذي يمشي بين الناس بما يُفسدُ قلوبهم و علاقاتهم. أي أن النميمة: نقل الكلام و نحوه على وجه الإفساد.

و قد جاء في التحذير منها أحاديث كثيرة صحيحة، منها ما يلي:

عن ابن عباس رضي الله قال: مرَّ النبي صلى الله عليه و سلم بحائط من حيطان المدينة أو مكة،

فسمع صوت إنسانين يُعذِّبانِ في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: يُعذِّبانِ و ما يُعذِّبانِ في

كبيرٍ. ثم قال: بلى، كان أحدهما لا يستترُ من بوله، و كان الآخرُ يمشي بالنميمة. رواه البخاري و مسلم.

¹ ضعفه السيوطي في الدر المنثور (581/13).

و من أشد أنواع التحذير التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه و سلم عن النسيمة قوله كما في البخاري: لا يدخل الجنة قتات.

و هذا الحديث لا يتعارض مع ما عليه أهل السنة و الجماعة أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً، إذا تاب العبدُ منها و أناب. فإن العبد المسلم إذا أذنب، ثم تاب إلى الله تعالى: تاب الله عليه
قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الأعراف: ١٥٣

و قد قيل في معنى هذا الحديث: أن النَّمام لا يدخل الجنة ابتداءً، بل قد يعذبه الله على ما فعل ثم يكون مآله الجنة بإذن الله تعالى.

إن النَّمام من شرار الناس الذي حذر منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة،
الباغون للبراء العنت. (مجمع الزوائد، الهيثمي)

أي الطالبون العيوب القبيحة للشرفاء المنزهون عن الفواحش.

رحم الله الشاعر الذي قال:

مِلْ عن النَّمامِ و اهجره فَمَا
بَلَّغَ المَكروه إلا مَنْ نَقَلَ.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهديننا لأحسنها إلا أنت، و قنا سيئ الأخلاق لا يقينا سيئها إلا أنت.

أقول ما سمعتم و استغفر الله لي و لكم.